

الموجة الأولى من التمدد الاستعماري الأوروبي والتي رافقت الحرب العالمية الأولى، شملت القارة الافريقية والشرقين الأدنى والأوسط ومناطق شاسعة من آسيا والعالم.

وفي أعوام الخمسينات والستينات من القرن الماضي اجتاحت الحركات التحررية جميع المستعمرات في العالم لنيل الاستقلال الوطني وطرد المستعمر وبناء حكومات وطنية تحترم إرادة شعوبها، سرعان ما تحول "قاداتها التحررين" الى مستبدين طغاة أذاقوا شعوبهم صنوفا من المآسى والاذلال والفقر، نتج عنها فيما بعد انفجارات وثورات شعبية للتخلص من طغيانهم وجبروتهم كلفت الشعوب تضحيات هائلة.

اخفاق النخب الوطنية الحاكمة استغلته الامبريالية الغربية للعودة من جديد وبسط هيمنتها على مستعمراتها القديمة.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 انتعشت آمال الامبريالية الغربية، وبالأخص الامريكية في بسط سيطرتها على عالم جديد "عالم احادي القطب"، بدأت الموجة الثانية من الهيمنة الامبريالية، وتبنت زورا شعارات الشعوب في التحرر من الدكتاتوريات الوطنية وبناء انظمة ديمقراطية حسب الارادة الحرة للشعوب!

شكلت الثورة الإيرانية 1979 منعطفا تاريخيا هاما في القرن الماضي، أربكت الخطط الامريكية، أوغزت الأخيرة الى أدواتها في المنطقة – السعودية ومشيخات الخليج والرجعية العربية -دعم صدام حسين في حربه على إيران وخنق الثورة في مهدها. ونفذ هؤلاء أوامر واشنطن وفقاً لتعليماتها.

قاوم الشعب الإيراني العدوان العسكري والمؤامرات الدولية بأثمان باهضة، ولم تسقط الثورة، كما اشتتها الامبريالية الغربية والرجعية العربية.

انهار التحالف العربي ضد إيران بغزو الكويت عام 1990، وتم طرد القوات العراقية من الكويت عام 1991 بقيادة جورج بوش الأب، واحتل الجيش الأمريكي أفغانستان عام 2001 والعراق عام 2003، واستمرت الهيمنة الغربية لاستعادة سيطرتها على الشرق الأوسط. فقام حلف الناتو بضرب ليبيا وتدميرها عام 2011، وقامت الولايات المتحدة الامريكية بمحاولات تغيير الأنظمة في العراق ومصر وسوريا واليمن وأفغانستان بدعم من دول الخليج والمجموعات الإرهابية الممولة من قبلهم، كل هذا أوصلنا الى الوضع الحالي الذي نعيش آثاره اليوم.

في "عراق ما بعد بريمر" تتشابك بقوة المصالح الامريكية والإسرائيلية والرجعية العربية، وبمساندة بعض المتنفذين في القيادة الكردية. تحرص النخب الحاكمة في – بغداد وأربيل – والمفضلة أمريكياً، اخضاع سياساتها العامة للأجندات الخارجية على حساب السيادة الوطنية. تفضل الادارة الامريكية النخب الحالية المُجربة بنجاح وتستخدمهم في لجم اندفاع القوى الوطنية الحقيقية على تحقيق السيادة الوطنية، والأمريكي ليس مهتماً بالفشل الاداري والاقتصادي وتزايد معدلات الفقر والبطالة ونهب المال العام، فكل هذه الظواهر السلبية نمت وتطورت تحت حمايتهم وكلها عوامل مساعدة لتحقيق مشروعهم الامبريالي في المنطقة. أمريكا تدعم أنظمة عربية رجعية وتزودها بالوسائل الكفيلة لقمع شعوبها وابقائها في خانة التخلف والاذلال، وهذا ما يسهل الهيمنة والنهب المنظم لثروات الشعوب.

نجحت أمريكا عن طريق وكلائها في السيطرة على الاحزاب والمؤسسات ومعظم مفاصل الدولة العراقية، بهدف التحكم الطويل الأمد في إطار الجيوبوليتيك الامريكي. وتحاول ترسيخ هيمنتها بزرع عملائها في قيادات الجيش والمخابرات والأمن والوزارات السيادية وتبوء مؤيدي سياساتها من الشخصيات العربية والكردية لهذه المناصب الحساسة. كما تتمكن من ممارسة الابتزاز ضد أي طرف معارض لسياساتها بتحريك "قيادات أحزاب ووكلائها المحليين"، ففي جعبتها الكارت الطائفي والعرق والمذهبي والصراعات الحزبية والتكالب على المال والمناصب. ومن السهل عليها تحريض اربيل ضد بغداد والسنة ضد الشيعة.

يعكس نظام الحكم في اربيل وبغداد الى هيمنة أسر وراثية حاكمة وفاسدة فوق القانون، تحولت الى "عصابات مسلحة سياسية ومالية، همها تكديس الثروة ومراكمتها، وفي الواقع تشكل "الدولة العميقة" المسؤولة عن الأزمات وأخذ بلدهم نحو الانهيار المالي وتمزيق النسيج الاجتماعي وافقار الشعب الى حدود الانفجار.

فهناك تحديان رئيسيان أمام الشعب العراقي بكافة مكوناته، انهاء الاحتلال والهيمنة الامبريالية المباشرة أو بالوكالة، والتحدي الثاني هو ايقاف الكارثة التي تسببها الطبقة السياسية الحاكمة – الكردية والعربية – ما بعد بريمر.

التحدي الأول أي الخارجي-الاحتلال الأمريكي-لا يعارض الامتيازات اللامشرعية التي يتمتع بها قادة الأحزاب والعوائل الحاكمة وأقاربهم ومرتزقتهم، ويسمح لهم الاستمرار في نهب الأموال العامة والامعان في الفساد الإداري، والأهم أنهم يشكلون حجر عثرة أمام ولادة دولة المؤسسات الفاعلة والنزيهة والقادرة على تحقيق النمو الاقتصادي والتطور الصناعي والتكنولوجي وتحقيق العدالة الاجتماعية.

والتحدي الثاني أي الداخلي - المتمثل بمواقف النخب العربية والكردية الحاكمة - لكونه عامل مساعد لديمومة المشروع الامبريالي وتمدده وترسخه في المنطقة.

هذين العاملين مترابطان، أحدهم يتغذى من الآخر، فالعامل الداخلي ولد من العامل الخارجي، ولا يمكن للأوطان المحتلة والمنهوبة ان تتقدم بدون التحرر من الهيمنة الامبريالية ومن الطبقة الحاكمة المرتبطة به، حيث اليوم يعكس الحراك الشعبي الواسع مدى رفضه وسخطه لرموز الحكم الحالي وقد سقط المات من الشهداء من بين المتظاهرين والمحتجين الشباب.

نشاهد اليوم صراعا حادًا بين المجتمع من جهة وبين الهيمنة الأجنبية والنخب الحاكمة في اربيل وبغداد من جهة أخرى. ومن غير المنصف أن تتحمل المحافظات الجنوبية تبعات الانتفاضة الجماهيرية دون اشراك المحافظات الأخرى، فالفساد معمم، وتسلط النخبة الكردية قائم على المال المنهوب والفصائل المسلحة وجهاز الأمن الحزبي والفضائيات التي يديرها اعلاميون مرتزقة والحامى الخارجي، لقد تراكمت الديون وأزمة الرواتب لم تتوقف وتزايدت معدلات البطالة والفقر والخضوع الكامل لإملاءات أنقره الاقتصادية والعسكرية والسياسية. وتتمكن هذه النخب التأثير على سياسات الحكومة من خلف الستار واجهض القرارات التي تحد من هيمنتهم على بيع النفط والعقود التجارية وموازنة الوزارات والهيئات الحكومية، فالسلطة الحقيقية هي بيد قادة الأحزاب، فالوزراء والبرلمانيون لم يحتلوا مناصبهم وفق معايير الكفاءة والنزاهة، بل وفق عوامل القرابة والولاء الشخصي والإفراط في الانتهازية، إنهم مرتزقة لدى رؤساء أحزابهم ولا يمثلون مصالح الشعب.

تعانى إنتفاضة الجماهير من نقص جوهري، إنه غياب قيادة مخلصه وواعية لعوامل الجيوبوليتيك الإقليمية والدولية والمحلية، ومن هذه الثغرة تحاول قوى الاحتلال ونخب الحكم الفاشل، إحتواء وتحريف الحراك الجماهيري السلمي عن مساره وأهدافه الحقيقية.

فالخطوة الأولى ينبغي أن تتركز على اجتماع يضم عددا من المخلصين المؤهلين ومن جميع مكونات المجتمع العراقي، لرسم خارطة الطريق "مشروع وطني" متكامل، وتشكيل "الكتلة الصلبة" أو "الكتلة التاريخية" تقود حركة التغيير السلمى العامة من القاعدة الى القمة. وستشكل هذه "الكتلة الصلبة" ضمانا أمام جميع محاولات تحريف الانتفاضة الشعبية عن مسارها. وستعمل هذه الكتلة على جمع وتوحيد الجماهير العربية والكردية ومن باقى المكونات فى حركة سلمية منظمة على عكس ما قامت به السلطة الحالية من خلق انقسامات وعداوات دينية وطائفية وعرقية وحزبية وعائلية فى مجتمعنا، بحيث يفقد الشعب كل أدوات المقاومة أمام غطرسة "ذئاب المال" ومشاريعهم الشخصية!

بدون وجود هذه "الكتلة الصلبة" لقيادة الحراك الشعبى العام، ستترسخ أكثر فأكثر سلطة "ذئاب المال" فى بغداد واربيل ومعه الهيمنة الخارجية، والحراك الشعبى معرض لضغوط هائلة لتحريف المسار كما حصل فى بلدان عديدة شهدت ما سمي بـ "الربيع العربى".

نظرة فاحصة لما يجري فى لبنان، عانى أيضا من "سلطة ذئاب المال" المرتبطة بالقوى الاستعمارية الغربية والرجعية العربية، الا ان فيها هذه "الكتلة الصلبة"-مسيحيين ومسلمين-الواعية لحركة التاريخ وهي التي تقف أمام الفساد بحزم وتمنع الاحتلال الأجنبي من فرض املاءاته وتقود لبنان وسط حقل من الألغام نحو غد مشرق لكافة أبنائه ومتناغم مع تاريخه وحضارته الشرقية.